العلاقاتُ الزَّمنيَّةُ والجِهيَّةُ في الخِطاب القرآنيِّ مقاربة تداوليَّة

أ. د. لطيفة عبد الرَّسول
الجامعة المستنصريَّة / كليَّة الآداب
قسم اللُّغة العربيَّة

مهنَّد ناصر حسين القريشيّ

Temporal and Regional Relationships in the Qur'anic Discourse: A Pragmatic Approach

Prof. Dr. Latifa Abdul Rasool
Muhannad Nasir Hussain Al-Quraishi

الملخّص

يسعى هذا البحث إلى حلِّ عددٍ من الإشكالات المرتبطة بالعلاقة بين الأزمنة والأحداث في الخِطاب القرآنيِّ، ومعالجة القضايا المتعلِّقة بما يُسمَّى حشويَّة الأزمنة، أو التباس الزَّمن في السّياق؛ ومن بين تلك الإشكالات: لماذا يتقدَّم الزَّمن في بعض النُّصوص إلى الأمام، ويتأخَّر في أخرى؟، وهل تحمل الجهات الزَّمنيَّة مؤشراتٍ ما، على تقدّم الأحداث إلى الأمام، أو تراجعها إلى الخلف؟ وكيف يمكن ضبط مسار الأحداث في الجهات الزَّمنيَّة الخالية من أيِّ مؤشرات؟ ومن ثَمَّ يستعين البحث بمفاهيم من اللِّسانيَّات التَّداوليَّة لحلّ تلك الإشكالات؛ وذلك أنَّ التَّداوليَّة تشتغل على تلك القضايا المشار إليها، وعن طريق المنهج التَّداوليِّ سيُقدِّمُ البحث تحليلات زمنيَّة وجهيَّة على آياتٍ قرانيَّةٍ، تهدف إلى تنظيم العلاقات بين الزَّمن والجهة، وترتيب مسار الأحداث فيهما، ورفع اللَّبس الذي قد يفهمه المُتلَقِّي للنَّص، أو الخطاب، وسيُبيِّن البحث أنَّ هناك جهاتٍ زمنيَّة تحمل مؤشرات تكشف عن المسار الاتِّجاهي للأحداث، وأنَّ هناك جهات أخرى خالية من تلك المؤشرات، وهنا لا بُدَّ من استحضار السِّياق، أو المكونَّات، أو الرَّوابط التَّداوليَّة؛ لتعيين المسار الزَّمنيِّ والجِهيِّ للأحداث.

Abstract

This research seeks to solve a number of problems related to the relationship between times and events in the Qur'anic discourse and to address issues related to the so-called visceral times, or the ambiguity of time in the context. Among those problems: Why does time in some texts move forward, and delay in others? Do the temporal directions bear any indications of the progress of events forward, or their regression back? How can we adjust the course of events in the time horizons that are free of any indicators? Then the research uses concepts from pragmatic linguistics to solve these problems. This is because pragmatics works on those issues referred to and through its approach, the research will present temporal and facial analyzes on Qur'anic verses, aiming at regulating the relations between time and destination, arranging the course of events in them, and removing the confusion that the recipient of the text or discourse may understand. It will show that there are temporal destinations that bear indicators that reveal the directional course of events. There are also other destinations that are devoid of these indicators. Hence, it is necessary to invoke the context, components, or trading links to determine the temporal and chronological course of events.

Keywords: time, direction, interchangeability.

مقدِّمة:

إنَّ مشكلاتِ الزَّمن والجهة قديمة جدًّا، وقد قدَّم النَّحويُّون أوصافاً دقيقةً مَبْنيَّةً على متونٍ أدبيَّةٍ تتضمَّن استعمالاتٍ متنوّعةً لأزمنة الأفعال، واقْتَرحوا - في الغالب - فرضيَّاتٍ عَامَّةً تُفسِّرُ تَنَوُّعَ استعمال أزمنة الأفعال، وتتمثَّلُ إحدى خصائص المقاربات النَّحوية في ربط أزمنة الأفعال بمحتوًى تصوُّري، فالرُّؤية إذاً دلاليَّة، والفكرة تقوم على أنَّ لأزمنة الأفعال دلالةً، وأنَّها تَسْمَحُ بالنَّفاذ إلى تمثيل الحدث، وتتناقض هذه الرُّؤية الواقعيَّة للُّغة مع لا واقعيَّة (فينريش)، وتَسمَحُ بفَهْمِ لماذا ننفذ في أثناء قراءة السَّرد إلى تمثيل الأحداث؟ ويَكمُنُ خطأ النَّحويين بالمقابل في عَدِّ محتوى المورفيمات الزَّمنيَّة تَصَوُّريًّا.

ويعود التَّراجع الذي أدَّت إليه اللِّسانيَّاتُ النَّصيَّةُ إذاً، ومنها نظرية فينريش إلى أنَّ فرضيَّتها الضِّمنيَّة – أزمنة الأفعال إشارات مُطَّردة، ولها وظيفة في مستوى الخطاب – لا تُفسِّر الدَّور الدَّلاليَّ للمورفيمات النَّحويَّة في تأويل الملفوظات، فبدلاً من أنْ تتوضَّح الظَّواهر الدَّلاليَّة تزداد غموضاً؛ إذ لا شيء يسمحُ على سبيل المثال بتفسير لماذا تكونُ جهة الماضي البسيط، أو المُطلق جِهةَ الواجهة، والماضي المُستمر جِهةَ الخلفية؟، وفي هذا الصَّدد فإنَّ المقاربات التَّداوليَّة مفيدة جدًّا، في دراسة مثل هذه الإشكالات، وإنَّ مفاهيمَ مثل: جهة التَّمام واللَّاتمام تُقدِّم جواباً عن هذه الأسئلة[1].

تَغَيَّرت - في اللِّسانيَّات - القضايا المُتَّصلةُ بالزَّمن في اللُّغة والخِطاب تَغْييراً جذريّاً منذ عَقْدٍ من الزَّمن؛ وذلك لأنَّ علم الدَّلالة والتَّداولية بحثًا في مشكلاتٍ تخصُّ الخِطاب، مثل العائديَّة الخِطابية، وأزمنة الأفعال[2]، وقد لاحظَ (هانس كامب) و(كريستيان روهرر) أنَّ تأويل الخِطابَيْنِ المُواليَيْنِ يَفْرِضُ عَقدَ علاقةٍ بين الوحداتِ المرجعية، أو الطَّبقاتِ الجِهيَّة من جهةٍ، والعلاقات المنطقيَّة بين هذه الوحدات من جهةٍ أخرى[3].

وقبل بيان العلاقات الزَّمنيَّة والجِهيَّة في ترتيب الأحداث داخل النَّص، أو الخطاب تشير الدِّراسة إلى أهمِّ المحاور التي اشْتَغَلتْ عليها المقاربات التَّداولية، وهي[4]:

١- إشكاليَّة العلاقة بين الأزمنة والأحداث في النُّصوص والخطابات، فالأزمنة تترابطُ على وفق علاقاتٍ إمَّا إحالية، أو اتِّجاهيَّة، أي إنَّ الزَّمن الإحاليَّ للحدث إمَّا يتقدَّمُ إلى الأمام، فنكون بصدد متوالية أحداث داخل الخطاب يتقدَّمُ فيها الزَّمن الإحالي، فتُسَلْسَلُ الأحداثُ زمنيًّا، أو إنَّ الزَّمن يتراجع إلى الخلف ليحتوي زمناً آخر، أو أن يحدث احتواء جزئيٌّ للأزمنة، بمعنى أنَّ زمن حدثٍ يحتوي جزءاً من زمن حدثٍ سابقٍ عليه في التَّرتيب.

٢- إشكاليَّة حشويَّة الأزمنة، أو مسألة التباس الزَّمن في السِّياق، ومن المعلوم أنَّ المعالجة النَّسَقيَّة للأزمنة حاولت تقديم خطاطاتٍ للأزمنة، قائمة على أساس التَّمييز بين المحتوى الزَّمنيِّ للأزمنة الصَّرفيَّة، لتمنح كلَّ زمنٍ صرفيٍّ دلالة زمنيَّة تُميِّزُهُ عن سار الأزمنة التي يتعارض معها في الجداول الزَّمنية المُقترَحة لأزمنة لغةٍ محددةٍ، وتعترض المقاربة النَّسقية التي تُميِّز بين جِهات الأزمنة بحسب الإشكالية المذكورة مشكلاتٍ عدة؛ لأنَّ الجهات تقبلُ أن تتناوب في بعض السِّياقات بدلالة متماثلة.

٣- إشكاليَّة المنظور الزَّمني، وترتبطُ بالمنظور المُوجِّه لإحالة الزَّمن، فالتَّصوُّر الذي ينطلق من الافتراض الإشاري للزَّمن يَعُدُّ زمنَ الحدثِ مربوطاً إشاريّاً بنقطة التَّلفُظ (الآن) المقترن بالتَّجرُّد بالمتكلِّم، ولعلَّ أبرز مُشكل يعترض هذا التَّخصيص أنَّ الأزمنة في سياقاتٍ مُعيَّنةٍ قد تكونُ حاملةً لآثارٍ دلاليَّةٍ وتأويليَّةٍ مرتبطةٍ بمنظورٍ ذاتيٍّ لفاعل الجملة وليس المتكلِّم.

وفي ضوء ما تقدَّم، يُفهم أنَّ مفاهيم اللِّسانيَّات التَّداوليَّة بحثت في قضايا الزَّمن والجهة، في مسعًى منها لحلِّ ما اعترضها من إشكالات تتعلَّق في ترتيب الأحداث داخل النَّصِّ، أو الخِطاب زمنيّاً وجِهيّاً، وفكِّ الالتباس الذي قد يحصلُ في ذلك، والاهتمام بسياق الجملة، ومقاصد المتكلِّمين، لما لها من أثرٍ بارزٍ في تحديد الوظائف الدَّلاليَّة للجهات الزَّمنيَّة، ويُعَدُّ مفهوم الاستنتاج الاتِّجاهيِّ، أبرز المفاهيم التَّداوليَّة في معالجة القضايا المتَّصلة بترتيب الأحداث، وحشويَّة الأزمنة، أو التباسها، وتحديد موقف المتكلِّم منها، وطريقة تلقِّيها من لدن المُخاطَب.

الاستنتاج الاتِّجاهيُّ:

يُقصَدُ بالعلاقة الاتِّجاهيَّة، أو ما اصطلح عليه (موشلر) بالاستنتاج الاتِّجاهيِّ المسارُ الاتِّجاهيُّ لمتواليَّةٍ من الأفعال داخل النَّص، أو الخطاب، وتتباين اتِّجاهات هذا المسار؛ إذ يمكن لأحداث مُتتالية أن تجعل الزَّمن الإحالي يتقدَّم إلى الأمام، أو يتراجعُ إلى الوراء، أو أن يكون زمن الحدث السَّابق مُتضمَّناً في الزَّمن الإحالي للزَّمن اللَّاحق، وهذا المسار الأخير يفرز القراءة العائديَّة للأزمنة داخل النَّصِّ، أو الخطاب[5]، والسؤالُ هنا: لماذا يَتَقدَّمُ الزَّمنُ في بعض النّصوص،

ولماذا يتأخَّر في أخرى؟، وما هو موقف المتكلِّم منها، وطريقة فهمها عن المُتلقِّي؟

للإجابة عن ذلك حدَّد (جاك موشلار) و(آن ريبول) ثلاث أطروحات، تفسِّرُ الكيفيَّة التي يتقدَّمُ فيها، أو يتأخر، ومن ثَمَّ تُسهِم في تحديد مقاصد المُتكلِّمين، وهي على النَّحو الآتي:

أولاً: الأطروحة العائديَّة: وتتمثَّلُ في عَدِّ زمن الفعل مسؤولاً عن التّرتيب الزَّمنيِّ والجِهيِّ للأحداث، فيتقدَّمُ الزَّمنُ مع الماضي البسيط، أو المطلق، ولا يتقدَّمُ مع الماضي المُستمر، وتعود الأطروحة إلى (كامب) و(روهرر)[٦]، وسُمِّيَتْ بالعائديَّة؛ لأنَّها تُحدِّد العلاقات الزَّمنيَّة على أساس الطَّابع المستقل، أو غير المستقلّ لأزمنة الأفعال، من أجل تثبيت إحالتها الزَّمنيَّة الخاصَّة[٧]، ويمكن أن نُمثِّل لهذه الأطروحة من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧]، وقوله: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾ [يُوسُف:٢٥]، وقوله: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسراء:٢]، وقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت:٢٧]، ففي الآية الأولى رَتَّبتْ جهةُ الماضي المطلق حدثَي الإتيان والتَّأييد ترتيباً أماميًّاً؛ وذلك أنَّ الله سبحانه وتعالى أعطى نبيَّه عيسى (عليه السَّلام) البَيِّنات المتمثِّلة بالمُعجزات وبكتاب الإنجيل، ثُمَّ أيَّده وقوَّاه وأعانه على حمل رسالته وتبليغها[٨]، وهذا يقتضي أن يكون الحدثان في النَّص مُرتَّبَيْن على التَّوالي، وفي الآية الثَّانية أنتجت جهة الماضي المطلق قراءة تقدُّميَّة للأحداث، فحدث الاستباق أولاً، يليه حدثُ القَدِّ، ثم حدث الإلفاء، فلا يُمكنُ أن تُقرأ هذه الأحداث قراءةً عكسيَّةً، وأمّا الآية الثالثةُ فقراءتها الزَّمنيَّة والجِهيَّة دالَّة أيضاً على مسار استنتاجي تَقَدُّمي، فـ ((جَعْلُ موسى هدًى لبني إسرائيل نتيجة مُترتِّبة على إتيانه الكتاب))[٩]، وبحسب هذا التّصور لا مجال أيضاً لأن يُقرأ الحدثان قراءةً جِهيَّةً معكوسة، وفي الآية الرابعة وَهبَ الله عزَّ وجَلَّ نبيَّه إبراهيم (عليه السَّلام) إسحاق ويعقوب (عليهما السَّلام)؛ ليجعل في ذريَّتهم النُّبوَّة والكتاب، وذلك يشير إلى ترتيبٍ زمنيٍ وجِهيّ يتقدَّم إلى الأمام في الحدثَيْن المذكورَيْن.

ويُلاحَظ مِمَّا تقدَّم أنَّ جهة الماضي المطلق قد أنتجت ترتيباً تقدُّميًّاً للأحداث، قائماً على أساس العلاقات السَّببيَّة، أو المعلومات السّياقيَّة الواردة في النَّصِّ أو الخطاب، بمعنى أنَّ هذه الجهة لا تحمل أيَّ مؤشراتٍ تدلُّ على أنَّ الأحداث متوالية الحصول، إلَّا بالاعتماد على المعارف الخلفيَّة والافتراضات السَّابقة لدى المتكلِّم والمخاطَب عن النَّصِّ أو الخِطاب، ففي التَّشكُّلات الزَّمنيَّة قد تكون نسبة الأماميَّة للخلفيَّة كنسبة المُصدَّر في الصُّورة إلى المشهد الخلفيِّ، وهذا ما يُفسِّر أنَّ المعلومات الخلفيَّة يُمكنُ أن تكون ذات طبيعة زمنيَّة وغير زَمنيَّة، ثُمَّ إنَّ اختيار أزمنة الفعل مُحدَّد بموقفِ تَكَلُّمٍ، أو خطَّة قول، وهو يشيرُ في المقابل إلى هذا الاختيار من قِبَل المُتكلِّم، أو السَّارد[١٠].

وقد تنعدم القراءة الاتِّجاهيَّة لجهة الماضي البسيط، أو المطلق، فتتأرجح بين التَّقدُّم للأمام، والعودة إلى الخلف، بحسب ما تفرضه العلاقات السَّببيَّة بين الأحداث، والمعلومات السِّياقيَّة الواردة في النَّص، أو الخطاب، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ * وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ * وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الصَّافَّات: ١١٤- ١١٨]، ففي متوالية الأحداث في هذه الآيات تنعدمُ السِّمات الاتِّجاهيَّة الدَّالة على المسار التَّقدُّمي؛ إذ يحتوي الفعل الأول الذي تبدأ به الآيات زمنيًّاً كلَّ المتواليات الزَّمنيَّة والجهيَّة التي تتلوه في النَّص، فالنَّجاة والنَّصر وإتيان الكتاب والهداية تُفسِّر فعل المَنِّ على موسى وهارون (عليهما السَّلام) وبني إسرائيل عموماً، وأمَّا فعلُ النَّجاة والنَّصر وإتيان الكتاب فأحداث يمكن أن تنتظم في مسارٍ اتِّجاهيٍّ تقدُّميٍّ، وهنا لا بُدَّ من التَّأويل، واستحضار السِّياق العام، لخروج بني إسرائيل من مصر، وخلاصهم من فرعون؛ لتأويل المسار التقدُّميِّ للأحداث في جهة الماضي المطلق، فعبور بني إسرائيل البحر بتدخُّل المعجزة الإلهيَّة فعلُ نجاةٍ، تَبِعهُ النَّصر، وأمَّا تلقّي موسى (عليه السَّلام) الكتاب فلم يتمَّ إلاّ بعد فعل الخروج[١١]، وفيما يخصُّ فعل الهداية فمسارُه الاتِّجاهيُّ ملتبِس؛ إذ يُمكنُ أن يُفهم أنَّه حاصل بعد إتيان الكتاب، أو قبله، حينما كان موسى ينذر أتباعه في مصر قبل الخروج[١٢].

أمّا جهة الماضي المُستمر فإنَّهُ يمكن قبول فرضية انعدام تقدُّم الحدث إلى الأمام؛ وذلك لأنَّ هذه الجهة تُعبِّر عن علاقة الإدماج، أي: إنَّ الجهة الزَّمنيَّة للحدث السابق مُدمَجةٌ في جهة زمن الماضي المُستمر، كما يتَّضحُ في المثال الآتي:

- دخل محمَّد وعلي، وكانت فاطمة تُهاتِف.

التَّأويلُ هو حينما دخل محمَّد وعلي، كانت فاطمة

تتَّصل بالهاتف، وواصلت الاتِّصال، بعد دخولهما[١٣].

ويُمثِّلُ الباحث لهذا التّصوُّر الجِهيِّ من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، وقوله: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩]، وقوله: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ٧٨]، وقوله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ [مريم: ٥]، ففي الآية الأولى تغيب القراءة الاتِّجاهية؛ إذ العلاقةُ الزَّمنيَّة والجِهيَّة بين استكبار إبليس وكفره ليستْ تَقَدُّميَّة؛ لأنَّ الفعل المساعد (كان) يدلُّ على حالة، والحالةُ تُعبِّر عن سيرورةٍ متجانسةٍ، لها سمةُ الامتداد واحتواء أزمنة الأحداث السَّابقة، فالكُفرُ إذاً ليس لاحقاً على الاستكبار، وإنَّما مُتزامِنٌ معه[١٤]، ولأجل ذلك لا تسمحُ جهة الماضي المستمر بترتيب أحداث السُّجود، والرَّفض أو الامتناع (أبى)، والاستكبار والكفر، ترتيباً باتِّجاه الأمام، وفي الآية الثانية أوقفت جهة الماضي المُستمر القراءة التَّقدّميَّة لحدث إنزال الرِّجز المُعبَّر عنه بجهة الماضي البسيط أو المطلق؛ لأن الحدث الثاني احتوى الحدث السَّابق، فأسهم في تكوين علاقة إدماج بينهما، وكذلك في الآية الثَّالثة، عُبِّر عن الحدث الأول بجهة الماضي البسيط، أو المطلق، فيما عُبِّر عن الحدث الموالي له بجهة الماضي المُستمر، فعُدِمَت على إثرها القراءة الاتِّجاهيَّة التَّقدُّميَّة، وقد ذكر ابن عطيَّة في تفسير معنى قوله: ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ أنَّه ((كانت عادتهم إتيان الفاحشة في الرّجال، فجاؤوا إلى الأضياف لذلك، فقام إليهم لوطٌ (عليه السَّلام) مُدافِعاً))[١٥]، وهذا يفسِّر علاقة الإدماج الحاصلة بين الحدثَيْن الأول والثَّاني، وتُقرأ الآية الرَّابعة بالاستراتيجية المذكورة نفسها.

بَيْدَ أن هذه الدَّلالة الجِهيَّة قد يفقدها الزَّمن الماضي المُستمر في بعض السِّياقات، فيُصبحُ حامِلاً لسمةٍ اتِّجاهيَّةٍ تقدُّميَّةٍ، مُماثِلاً في ذلك جهة الماضي البسيط، أو المطلق[١٦]، ويتجلَّى هذا في قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الحِجْر: ٨١]، فهذه الآية تضمُّ حدثين، الأول عُبِّرَ عنه بجهة الماضي المطلق، والآخر بجهة الماضي المستمر؛ ويقتضي السِّياق أن يتقدَّم الحدثُ إلى الإمام؛ إذ الإعراض لا يكون قبل إتيان الآيات، فلا توجد إذاً علاقةُ إدماجٍ، أو احتواء من الحدث الثَّاني باتِّجاه الحدث السَّابق، ولكن لماذا يُلجَأُ إلى جهة الماضي المستمر للتعبير عن تقدُّم الحدث إلى الأمام بدل جهة الماضي المطلق، أو البسيط؟ بمعنى لماذا لم يقل: (وآتيناهم، وأعرضوا عنها)؟.

والجواب: يرى (موشلير) أنَّ الآثار التأويليَّة لجهة الماضي المستمرّ في الخطاب يمكنُ فهمُها في نظريَّةٍ تداوليَّةٍ للزَّمن في اللُّغاتِ الطبيعية، إذا أُدرج مفهوم المنظور الذَّاتي، فاستعمال جهة الماضي البسيط - فيما لو كان في الآية السَّابقة - ينتج منظوراً زمنيّاً محايداً، خِلافاً لجهة الماضي المستمرّ، الذي يجعل المنظور الزَّمنيَّ للفعل منقولاً من وجهة النَّظر الذَّاتيَّة لفاعل الجملة، كحالةٍ ناتجةٍ عن فعل إتيان الآيات، يُحِسُّ أثرها بشكلٍ خاصٍ، وهذا الأثرُ التَّأويلي لا يمكن لجهة الماضي البسيط أن تدلَّ عليه[١٧].

ويُوسِّعُ الباحث هذا التَّصوُّر؛ ليشمل جهات الزَّمن الماضي الأخرى، فجهةُ الماضي المُؤكَّد لا تحملُ أيَّ سمةٍ اتِّجاهيَّةٍ؛ لترتيب الحدث في مسارٍ تقدُّمي، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النِّساء: ١٧٤]، ففي هذا النَّص تنعدمُ القراءة الاتِّجاهيَّة الأماميَّة لجهة الزَّمن الماضي المُؤكَّد؛ لغياب المؤشرات اللُّغويَّة التي تساعد على ترتيب الحدث ترتيباً زمنيّاً متسلسلاً، وإذا افترضنا تَقَدُّم الحدث إلى الإمام فذلك يأتي من المعلومات السِّياقيَّة المحتملة؛ إذ ذكر المفسرون أنَّ المراد بالبرهان هو النّبيُّ محمدٌ (صلى الله عليه وآله وسلَّم)، وأنَّ المراد بالنور المبين هو القرآن الكريم[١٨]، فعلى هذا يكون الحدث الأول خطيّاً أسبق من الحدث الثَّاني، ومسارُ الحدثَيْن يكونُ باتِّجاه الأمام.

ويُفترض أنَّ القراءة الاتِّجاهيَّة في جهة الماضي المُتَّصل بالحاضر (ما زالَ يَفْعَلُ أو فاعلاً) والمتَّصل بالحاضر والمستقبل (لا يزال يَفْعَلُ أو فاعلاً) منعدمةٌ أيضاً، ويوضَّحُ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ﴾ [غافر: ٣٤]، فالبنيةُ الجهيَّة (فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ) ليستْ لاحقةً للحدث الأول؛ وذلك لأنَّها تشيرُ إلى حصول الحدث في الماضي، واستمراره في الزَّمن الحاضر، بمعنى أنَّ حدث الشَّك محتوًى في الحدث السَّابق ومتزامنٌ معه.

أمّا جهة الماضي المكتمل، أو البعيد (كان فَعَلَ) فتحملُ سِمَةً اتِّجاهيَّةً ذات مسارٍ تراجعيٍّ، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا * وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ

مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ [الأحزاب:١٣-١٥]، وقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١٤]، ففي هذه الآيات أوقفت جهة الماضي المكتمل (ولَقَد كَانُوا عَاهَدُوا)، و(كان كُفِرَ) القراءة التَّقدُّميَّة الأماميَّة لسير الأحداث، وأنتجت قراءة تراجعيَّة إلى الخلف، ولكن ((لا يدلُّ الماضي المكتمل على مسارٍ تراجعي إلا إذا تأخَّرَ خَطيًّا، في الجملة عن الحدث الأول، فالجملةُ الأولى تُوفِّر الزَّمن الإحاليَّ للماضي المكتمل، كي يتمكَّن من التَّموضع، قبل الفاصل الزَّمنيِّ الذي يُوفِّرُه الحدث الأول، وإذا تَقَدَّمَ تَعذَّر إقامة هذا الرابط))[١٩].

إذاً، من دون أيِّ مؤشراتٍ لغويةٍ، أو سماتٍ اتِّجاهيةٍ، لا تنتظم الأحداث في الماضي بترتيبٍ أماميٍّ إلَّا باعتماد السِّياق، والمعارف الخلفيَّة والافتراضات السَّابقة، التي تُبيِّنُ إنْ كانت الأحداث ذات مسار تقدُّمي أو لا، باستثناء جهة الماضي المكتمل التي تحمل سمةً اتِّجاهيَّةً ذات مسارٍ تراجعي، ويُشترَطُ فيها أن تكون متأخِّرةً خَطيًّا عن الحدث الأول، وتنسحب هذه الملاحظات على جهات الحاضر والمستقبل، بمعنى أنَّها أيضاً لا تحملُ بأنفسها أيَّ سماتٍ اتِّجاهيَّة لتنظيم سير الأحداث، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٦]، فالبنية في جهتَي الحال الآنيِّ، والمستقبل المطلق، في هاتَيْن الآيتَيْن لا تدلُّ بنفسِها على ترتيب الأحداث بشكلٍ متسلسلٍ إلى الأمام؛ لأنَّ يأس الذين كفروا، وإكمال الدِّين، وإتمام النِّعمة، ورضا الإسلام ديناً أحداثٌ يُحتملُ أنَّها متزامنة معاً، أو ملتبسة، بحيث لا يمكن ملاحظة تقدُّم حدث على آخر، وكذلك الأحداث في الآية الأخرى، إمَّا أن تكونَ متزامنة، أو ملتبسة، وإمَّا أنَّها تتوالى في سلسلةٍ خطيَّةٍ تسيرُ إلى الأمام؛ اعتماداً على المعلوماتِ السِّياقيَّة، والمعارف الخلفيَّة، والافتراضات السَّابقة[٢٠].

ثانياً: الأطروحة الاستدلاليَّة: يتقدَّم الزَّمن بالتَّجرُّد في الكلام، لكن هذا الاستدلال القابل للتَّفنيد؛ لأنَّه غير رتيب – أي لا ينتج نتائجَ صحتُها مضمونة - يُمكن أن يُلغى إذا فَنَّدَتْ معلوماتٌ عن العالم التأويلَ المُعطى للخطاب، وهكذا فإنَّ متواليةً من الملفوظات في خطابٍ ما تُتيحُ أن نفترض بالتجرُّد أنَّ العلاقة بين الملفوظات تُمثِّلُ سَرْداً يُحدَّدُ بالتَّرتيب الزَّمني، إذا أثبتت المعلومات عن العالم هذه القاعدة، فنستنتجُ أنَّ بين الأحداث التي تصفها الملفوظات علاقةً ذات طابعٍ زمني؛ لكن قد تلغي معلومات جديدة هذا الاستنتاج، وتُورِدُ تأويلاً آخرَ هو التَّأويل السَّببيُّ المعكوس[٢١].

ويرى الباحث أنَّ هذه الأطروحة مُكَمِّلة للأطروحة السَّابقة، فحينما تنعدمُ القراءة الاتِّجاهيَّة في جهات الماضي - باستثناء جهةَ الماضي المكتمل - وفي جهات الحاضر والمستقبل؛ فإنَّ هناك عدداً من البنى الجِهيَّة تحتاج إلى تفسيرٍ، أو تأويل يكشفُ عن طبيعة المسار الاتِّجاهيِّ للأحداث، منها مثلاً: [٢٢]

- شَرِبَ زيدٌ سُمَّاً قاتلاً، مات / *مات زيدٌ، شَرِبَ سُمَّاً قاتلاً.

- سَقَطت المزهريةُ، انْكَسَرَتْ / *انْكَسَرَتِ المزهريَّة، سَقَطَتْ.

ولتفسير الجمل والخِطابات من النَّوع في أعلاه يوضِّح (موشلير) و(ريبول) أنَّ التَّأويل يكون ((إمَّا التَّعاقب الزَّمني، وإمَّا العلاقة السَّببيَّة، وإمَّا أيضاً انتفاء العلاقة بين الحدثَيْن، فالنُّقطة الحاسمة هي أنَّ التَّأويل يكون هذا أو ذاك بناءً على الفَرَضيَّات السِّياقيَّة التي يُنشئها المُخاطَب))[٢٣]، ويُوضِّحان أيضاً أنَّه لكي يكون النَّصُّ منسجماً ليس من الضَّروري أن تشير خصائصه الشَّكليَّة صراحةً إلى العلاقات بين الأقوال، فهذه العلاقات يُمكن الحصول عليها عن طريق الاستدلال، إمَّا بمقدِّمةٍ ضمنيَّة، وإمَّا بفرضيَّةٍ سياقيَّة، وإمَّا بخطاطة عملٍ مُنمَّطة أيضاً، وإذا كان الانسجام هو البُعدَ التأويليَّ للخطاب فإنَّ الاتِّساق بعدُهُ اللِّسانيُّ والدَّلاليُّ، فالخِطاب يكون مُتَّسقاً حقَّاً، إذا وُجِدتْ علاقات قضويَّة بين الأقوال التي تكوِّنه، فضلاً عن أنَّ حضورَ علامات الرَّبط، مثل الرَّوابط التَّداوليَّة، أو غيابها يُحدِّدان شروط التَّأويل، والنَّتيجة واحدة لكلِّ مثال؛ إذ حضور الرَّابط يجعل الرَّبط غير ملتبسٍ وأحاديَّ الدَّلالة[٢٤].

وعلى وفق ما قرَّراه يُفترضُ أنَّ ((الأزمنة والرَّوابط والسِّياق والمحتوى التَّصوريّ للأفعال، عناصر حاملة لسماتٍ اتِّجاهيَّة، إمّا قويَّة، أو ضعيفة، وأنَّ هذه العناصر تدخلُ في تراتبيَّة ينتجُ عنها أنَّ السِّمة القويَّة تَلغي، أو تُؤكِّد السِّمة الاتِّجاهيَّة الضَّعيفة، وينسحب ذلك على تفاعل السِّمات الضَّعيفة فيما بينها))[٢٥]، وهذا يعني وجود مكوناتٍ وسماتٍ فاعلة في المسار الاتِّجاهي للزَّمن في الخطاب، ويُمكِنُ أنْ نجعلها طريقةً من طرائق الأطروحة الاستدلاليَّة في معالجة مشكلة التَّرتيب الزَّمنيِّ والجِهيِّ للأحداث في

البِنى داخل النَّص، أو الخطاب.

وأما أبرزُ هذه المُكونات أو السِّمات التي يَسِمُها الباحث بالجِهيَّة فهي:

١- تحملُ المعلومات السِّياقيَّة سمةً اتِّجاهيَّة قويَّة، دالَّة على مسارٍ تقدُّميٍّ، أو تراجعيٍّ.

٢- تُعدُّ سمات الزَّمن الصَّرفي الاتِّجاهيَّة ضعيفةً.

٣- تُعَدُّ السِّمات الاتِّجاهيَّة للرَّوابط قويَّةً.

٤- تُعَدُّ السِّمات التَّصوريَّة للأفعال ضعيفة.

٥- تُنشِّطُ السِّمات القويَّة، أو الضَّعيفة المسار الاتِّجاهي.

٦- تُلغى سمة اتِّجاهيَّة ضعيفة، عن طريق سمة ضعيفة ذاتِ مسارٍ اتِّجاهي معاكس، وتُؤكِّدُ بوساطة سمةٍ ضعيفةٍ ذات مسارٍ اتِّجاهيٍّ مماثل.

٧- تُلغى سمة اتِّجاهيَّة ضعيفة عن طريق سمة اتِّجاهيَّة قويَّة، وتُلغى السِّمة القويَّة بوساطة أخرى قويَّة أيضاً.

٨- تغلب السِّمة القويَّة ذات المسار المعاكس السِّمة الاتِّجاهيَّة الضَّعيفة إذا ما تعارضتا في النَّصِّ، أو الخِطاب[٢٦].

فمن ذلك (إذْ) في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٦-١٧]، يُشيرُ الرَّابطُ (إذ) – ذو الإحالة العهديَّة الذِّهنيَّة – في الآية إلى مسارٍ اسْتنتاجيٍّ دالٍّ على التَّراجع؛ لأنَّهُ يُثيرُ فاصلاً زمنيًّاً معروفاً في ذهن المُستمع، أو القارئ، مذكوراً في سياقاتٍ سابقة، وغير وارد في السِّياق النَّصيِّ المُباشر، وتَشْبَهُ الإحالةُ الزَّمنيةُ هنا إحالة أداة التَّعريف في الأسماء التي قد تُراوِحُ بين الإحالة العائديَّة، والإحالة العهديَّة الذِّهنيَّة، وتكون العلاقة بين الأحداث بعد الرَّابط (إذ) علاقة احتواءٍ، أي: إنَّ اتِّخاذ المكان حِجاباً، وإرسال الرُّوح، حدثان مُتضمِّنان في حدث انْتباذ مريم (عليها السَّلام) للمكان، فالأحداث تقع على امتداد الفاصل الزَّمنيِّ لوجود مريم بالمكان الشَّرقيِّ، فالرَّابطُ (إذ) إذاً يستلزمُ علاقتَيْن زمنيَّتَيْن خِطابيَّتَيْن: التَّأطيرُ، أو الاحتواءُ، والسَّردُ التَّقدُّمي، فتنتظم العلاقة بين حدث اتِّخاذ المكانِ وإرسال الرُّوح على وفق مسارٍ تقدُّميٍّ، ويشرف على هذا المسار حدثٌ مؤطِّرٌ يحتوي الحدثَيْن المذكورَيْن[٢٧]، وهكذا تكون العلاقة التَّداوليَّة لجهة الماضي المطلق، أو البسيط التي عُبِّرَ بوساطتها عن الأحداث السَّابقة علاقة احتواءٍ، وعلاقة تقدُّم استلزمَها الرَّابطُ (إذْ)، وبحسب المكونات أو السِّمات الجهيَّة التَّراتبيَّة، فإنَّ الآية السَّابقة تُجسِّد مقولة: إنَّ السِّمات الاتِّجاهيَّة للرَّوابط قويَّة، فقد لُوحِظَ أنَّ (إذ) رابط قويٌّ، يحمل سمة اتِّجاهيَّةً تراجعيَّة، وله أثر بارز في احتواء العلاقة بين الأحداث التي تليه وترتيبها على وفق نظام تقدُّميٍّ مُؤطَّر، ويمكن أن تُجسِّد الآية أيضاً مقولة: إنَّ السِّمة القويَّةَ ذات المسار المعاكس تغلب السِّمة الاتِّجاهيَّة الضَّعيفة إذا ما تعارضتا في النَّصِّ أو الخِطاب؛ ومقولة: إنَّ سمةً اتِّجاهيَّةً ضعيفةً قد تُلغى عن طريق سمة اتِّجاهيَّةٍ قويَّةٍ؛ فالرَّابط (إذْ) في الآية لقوته غلب سمة الزَّمن الصرفيِّ الاتِّجاهيَّة بوصفها سمةً ضعيفةً، وألغى مسارها الاتِّجاهيَّ التَّقدُّميَّ.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي * إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٣٨- ٤٠]، ففي هذا النَّص تبدأ لحظة سرد الأحداث بترتيب داخلي، حتَّى تصل إلى النَّتيجة، وهي تعداد نعم الله سبحانه وتعالى على نبيه موسى (عليه السَّلام)، وقد تجسَّد ذلك عبر تقنية الاسترجاع، بقطع ترتيب الحدث الزَّمنيِّ؛ للارتداد إلى حادثة حصلت في الماضي في لحظة لاحقةٍ لحدوثها، عن طريق صِيغ الماضي التي تمثَّلت أفعالها في (أَوْحينا، وأَلْقيتُ، ورَجَعْناكَ، وقَتَلْتَ، ونَجَّيْناكَ، وفَتَنَّاك، ولَبِثْتَ، وجِئْتَ)، وصِيغ المضارع في (يُوْحَى، واقْذِفِيْه، وفَلْيُلْقِه، ويأخذُهُ، وتُصْنَعَ، وتمشِيْ، وأَدُلُّكم، ويَكْفُلُه، وتَقَرَّ، وتَحْزَنَ)، وهذا الامتزاجُ بين هاتين الصِّيغتَيْن يُشير إلى متواليات زمنيَّةٍ[٢٨]، وهكذا تمَّت العودة بمسار الأحداث - زمنيًّاً وجِهيًّاً - إلى الوراء، وقد تحقَّق ذلك بوساطة الرَّابط (إذْ)، الذي أدَّى دوراً مركزيًّاً مهمًّاً في عملية الاسترجاع، أو القراءة الجهيَّة للأحداث.

وتَشْبَهُ (لمَّا) الأداةُ (إذ) في وظيفتها الاتِّجاهيَّة العكسيَّة، إلَّا أنَّها تختلفُ عنها في الأحداث التي تليها، يُوضِّحُ ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا * فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤٨- ٤٩]، وقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي

الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّـهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القَصَص: ٢٩- ٣٠]؛ إذ يَرِدُ الماضي بعد الرَّابط (لمَّا) دالاًّ على العودة إلى الوراء، أي جهة الماضي المكتمل بتقدير (لَمَّا كانَ قدِ اعْتَزَلَهُم)، فحدث الاعتزال وَرَدَ ذِكْرُه في بداية الآية الثامنة والأربعين من سورة مريم، ثُمَّ تمَّت العودةُ إليه في الآية التي تليها، ومعنى ذلك أنَّ الرَّابط يحمل سمةً اتِّجاهيَّة دالَّةً على مسارٍ تراجعيٍّ، وهذا يشير إلى أنَّه يلغي سمة الماضي الصَّرفيَّة الدَّالَّة على مسارٍ اتِّجاهيٍّ تقدُّميٍّ، وهذه العودة تسمح بذكر أحداثٍ لاحقةٍ لحدث الاعتزال، مرتَّبةً ترتيباً تسلسليّاً باتِّجاه الأمام، وتنسحب القراءة الزَّمنيَّة الجهيَّة نفسها على آيتَي سورة القَصص، فقضاء موسى الأجل أُشيرَ إليه من دون ذكر تفاصيل الأحداث التي تَضمَّنها، ورُجِعَ إليه مع استعمال الرَّابط (لمَّا) الذي أفاد العودة إلى الخلف، وذُكر بعده حدث متسلسل انتظم في مسارٍ اتِّجاهيٍّ تقدُّميٍّ (آنَسَ نارًا)، والذي رُجِعَ إليه أيضاً باستعمال (لمَّا) في نهاية الآية؛ لإدراج حدثٍ لاحقٍ، ويتعلَّقُ الأمرُ بنداء الله (سبحانه وتعالى) لموسى (عليه السَّلام)، وحديثه معه[٢٩].

إذاً فالعلاقة التَّداوليَّة للجهة بعد (لمَّا) وهي جهة الماضي المطلق - أو المكتمل تقديراً - في الآيات السَّابقة علاقة تَقدُّميَّة، والآيات المُتقدِّمة تُجسِّد المقولات الجهيَّة التَّراتبيَّة المذكورة في أعلاه في الرَّابط (إذ)، أي: إلغاء السِّمة القويَّة ذات المسار المعاكس للسِّمة الاتِّجاهيَّة الضَّعيفة إذا تعارضتْ معها في النَّصِّ، أو الخِطاب، أو إلغاء سمة اتِّجاهيَّة ضعيفة عن طريق سمة اتِّجاهيَّة قويَّة؛ إذ الرَّابط (لمَّا) قويٌّ ومؤثِّرٌ في مساره الاتِّجاهي الخلفي، وانتظام الأحداث التي ترد بعده.

ويرى الباحث أنَّ الرَّابط (ثُمَّ) يُسهِمُ في الحفاظ على سير الأحداث باتِّجاه الأمام؛ وذلك لأنَّه يحمل سمةً اتِّجاهيَّةً قويَّةً ذات مسارٍ تقدُّميٍّ، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّـهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ٧١]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٣-١٤]، ففي هذه الآيات تشير المعلومات السِّياقيَّة - بوصفها حاملة سمةً اتِّجاهيَّة قويةً أماميَّةً، أو خلفيَّة - إلى تقدُّم الأحداث إلى الأمام، ثم جيءَ بالرَّابط (ثُمَّ)؛ ليُعزِّز هذا التَّقدُّم ويُؤكِّده، وبحسب المقولات الجهيَّة التَّراتبيَّة يمكن لسمة اتِّجاهيَّة قويَّة أن تؤكِّد سمةً قويَّةً أخرى، ومِمَّا يدلُّ على تقدُّم الأحداث في الآيات السَّابقة زمنيّاً وجهيّاً أنَّ (ثُمَّ) إذا عُطِفَ بها أفادت التَّراخي والمهلة[٣٠]، بين الحدثَيْن الأول والثاني اللَّذين عَطَفَتْهُما، قال ابن عاشور في تفسير آية سورة المائدة: ((وقد دلَّت (ثُمَّ) على تراخي الفعلَيْن المعطوفَيْن بها عن الفعلَيْن المعطوف عليهما، وأنَّ هنالك عَمَيَيْن وصَمَمَيْن في زمنَيْن سَابِق ولاحق))[٣١]، وقال في تفسير آية سورة يونس أيضاً: ((وحرف (ثُمَّ) مُؤذِنٌ ببُعْدِ ما بين الزَّمَنَيْن، أي ثمَّ جعلناكم تخلفونهم في الأرض، وكَوْنُ حرف (ثُمَّ) هنا عاطفًا جملةً على جملةٍ تقتضي التَّراخي الرُّتْبِيَّ؛ لأنَّ جَعْلَهم خلائف أهمُّ من إهلاك القرون قبلهم لما فيه من المِنَّة عليهم؛ ولأنَّهُ عَوَّضهم بهم))[٣٢]، فهذان النَّصان يؤكِّدان أنَّ (ثُمَّ) رابط تداوليٌّ قويٌّ ذو مسار تقدُّميٍّ، له أثر كبير في انتظام الأحداث وترتيبها زمنيًّا وجهيًّا، وهكذا تكونُ العلاقة التَّداوليَّة لجهتي الماضي المُطلق المُؤكَّد، والماضي المطلق علاقةً تقدُّميَّة.

وتَحْمِلُ (الواو) سمةً اتِّجاهيَّةً قد تكونُ ذات مسارٍ أماميٍّ، وعلى الرَّغم من أنَّ الرَّوابط - كما ذُكِرَ - تحملُ سمةً اتِّجاهيَّةً قويَّةً؛ فإنَّه ليس معلوماً لدى الباحث - في الواو - أقوية هي أم ضعيفة؟ وذلك؛ لأنَّ (الواو) حرف عطف، لا دليل فيه على تقدُّم الحدث الأول على الثَّاني إنْ كانت عاطِفةً لِجُملتَيْن فِعليتَيْن[٣٣]، ويبدو أنَّ للمعلومات السِّياقيَّة الكلمة العُليا في ترتيب الأحداث وتنظيمها زمنيًّا وجهيًّا، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر: ١١-١٢]، ففي هاتَيْن الآيتَيْن تنتظم متوالية الأحداث في مسارٍ اتِّجاهيٍّ، يتراوح بين التَّقدُّم إلى الأمام، والتَّواقت، أو الاحتواء؛ وذلك لأنَّ حدث تفجير الأرض عيوناً لاحق لحدث فتح أبواب السَّماء؛ نظراً لوجود فاصلٍ زمنيٍّ يفصل بين الحدثَيْن، وأمَّا حدث التقاء الماء فحالةٌ ناتجة عن تفجير الأرض عيوناً، وهي حالةٌ مُحتواةٌ في الفاصل الزَّمنيِّ، وهذا التَّداخلُ أو بعبارةٍ أدقّ التَّواقتُ بين الحدثَيْن يجعلُ سمةَ الرَّابط الاتِّجاهيَّة (الواو) الدَّالَّة على التَّقدُّم إلى الأمام غير نشيطة، وهذا يشير إلى أنَّ التَّأويل الاستنتاجيَّ للمسار الزَّمني والجِهيِّ للأحداث يُراعَى فيه معرفتنا بطريقة انتظام الأحداث في العالم الخارجي[٣٤]، وتجسِّد الآية السَّابقة مقولة: إنَّ سمةً اتِّجاهيَّةً سياقيَّةً قويَّةً تهيمن وتلغي سمة الرَّابط القويَّة إذا قلنا: إنَّ الواو سمة اتِّجاهيَّة قويَّة، فإذا ما جُعلت سمةً اتِّجاهيَّةً ضعيفةً جسَّدت الآية مقولة: إنَّ

السِّمة الاتِّجاهيَّة الضَّعيفة يمكن أن تُلغى عن طريق سمة اتِّجاهيَّة قويَّة، وعليه تكون العلاقةُ التَّداوليةُ للجهة الزَّمنيَّة – مع الواو - وهي جهة الماضي المُطلق التي عُبِّرت بها الأحداث السَّابقة علاقةً غيرَ نشيطة، إنْ كان السِّياق هو المنظِّم للأحداث، وقد تكونُ تقدُّميَّةً نشيطةً إذا ما أكَّدت المعلومات السِّياقيَّة علاقة التَّقدُّم وألغتْ علاقة الاحتواء.

ويحمل الرَّابطُ (حتَّى) سمةً اتِّجاهيَّةً أماميَّة في ترتيب الأحداث، ولكن ذلك في نظر الباحث مشروط بمجيء الحدث بعدها دالًّا على جهة التَّمام، ويُوضِّحُ ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: ٣٤]، وقوله: ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التَّوبة:٤٨]، ففي هاتَيْنِ الآيتَيْنِ رُتِّبت أحداث التَّكذيب والصَّبر والابتغاء والتَّقليب في نظام متسلسلٍ باتِّجاه الأمام، وقد عزَّزَ الرَّابط (حتَّى) هذا المسار، بوصفه حاملاً سمةً اتِّجاهيَّةً أماميَّةً، ومِمَّا يدلُّ على ذلك أنَّ (حتَّى) ابْتدائيَّة قد أفادت دلالة الغاية، بمعنى أنَّ حدثَي إتيان النَّصر، ومجيء الحق قد أفادا غاية ما قبلهما[٣٥]، أي الأحداث المُشار إليها، فهما لاحقان لتلك الأحداث ومتحقِّقان؛ لأنَّهُ عُبِّرَ عنهما بفعلَيْنِ دالَّيْنِ على جهة التَّمام في الزَّمن الماضي.

فإذا جاء الفعلُ بعد (حتَّى) دالًّا على جهة اللِّاتمام كانت السِّمة الاتِّجاهيَّة للرَّابط مُحايدةً[٣٦]، بمعنى أنَّ التَّقدُّم في الأحداث مرتبط بتحقُّق الحدث بعد (حتَّى) واكتماله، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسُف: ٦٦]، وقوله: ﴿قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩١]، ففي هاتَيْنِ الآيتَيْنِ صارت السِّمة الاتِّجاهيَّة التَّقدُّميَّة محايدةً؛ لأنَّ الحدث الثَّاني في متوالية الأحداث لمَّا يتحقَّق بعدُ، أي: إتيان الميثاق، ورجوع موسى، فقد عُبِّر عنهما بوساطة الشَّكل الصَّرفي (يَفْعَلُ) الدَّال على جهة اللِّاتمام.

وقد اشترط د. محمَّد الملَّاخ في تقدُّم الأحداث مع (حتَّى) أن يكون الحدث بعدها دالًّا على سمة المحدوديَّة، فإنْ لم يدلّ كانت السِّمة الاتِّجاهيَّة التَّقدُّميَّة مُحايدةً[٣٧]، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠]، فالسِّمة التَّقدُّميَّة لـ (حتَّى) في هذه الآية مُحايدة؛ لأنَّ المسار الهدف لم يتمَّ بلوغُه؛ لأنه غيرُ محدودٍ، فأمَّا إذا قلنا مثلاً: (سرتُ حتى بلغتُ قمة الجبل)، كانت متوالية الأحداث دالَّة على مسارٍ تقدُّميٍّ؛ لأنَّ حدث البلوغ هنا ((يُغلِقُ الحدث ويجعلهُ محدوداً؛ لأنَّ الرَّابطَ يحمل سمةً جهيَّةً دالَّةً على المسار الهدف الذي يُشكِّلُ نقطة تأوُّج الحدث السَّابق، فمع نهاية المسير يبدأ وينتهي في نقطةٍ زمنيَّةٍ واحدةٍ حدثُ البلوغ، بكونه دالًّا على جهة الإتمام، وبالتَّالي البلوغ فاصل زمني متمادٌّ مع حدث السَّير))[٣٨].

ويرى الباحث أنَّ ما اشْترطه الملَّاخ لا يختلف كثيراً عمَّا اشْترطناه، بلْ إنَّ شرط الباحث قد يكونُ أكثر دقَّةً وتعميماً مِمَّا اشْترطه الملَّاخ؛ وذلك لأنَّ الأخير أشار إلى أنَّ العربيَّة تستعملُ الزَّمن الحاضر للتَّمييز بين سمتي المحدوديَّة واللَّامحدوديَّة، بوصفه – أي الزَّمن الحاضر – دالًّا على جهة اللِّاتمام[٣٩].

ويشير الملَّاخ إلى أنَّ السِّمة الاتِّجاهيَّة للرَّابط (حتَّى) قويَّة، ومن ثَمَّ لا تقبل ظهور سمة زمنيَّة دالَّة على مسار مختلف، وهو ما تُجسِّده جهة الماضي المكتمل الدَّالَّة على مسارٍ تراجعيٍّ، وذكر الجملة الآتية ووصفها بأنَّها لاحنة[٤٠]:

* سرتُ حتى كنتُ بلغتُ قمةَ الجبل.

وإذ يتَّفقُ الباحث مع ما أشار إليه الملَّاخ من وجود لحنٍ في الجملة السَّابقة، يضيفُ هنا قيداً جديداً لـ (حتَّى)؛ إذْ نرى أنَّ السِّمة الاتِّجاهيَّة في (حتَّى) قويةٌ إذا كانت الأحداث السَّابقة لها منتظمة في مسارٍ تقدُّمي، فإذا كانت هذه الأحداث دالَّة على مسارٍ تراجعيٍّ، فإنَّ العلاقةَ بين الحدث اللاحق لـ (حتَّى) ومتوالية الأحداث السَّابقة لها تكونُ إمَّا علاقة احتواء، أو علاقةً دالَّةً على مسارٍ تراجعيٍّ، متأثرةً بذلك بمسار الحدث في جهة الماضي المكتمل، ويُمثَّل لذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، فجهة الماضي المكتمل في قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ أشارت إلى مسارٍ تراجعيٍّ، أثَّر في انتظام الأحداث بعد (حَتَّى)؛ فبدلاً من أن تكون أماميَّةً أصبحت عكسيَّةً؛ لأنَّه لا يكون عذاب من دون إبعاث الرُّسل، فحدث البعث سابق لحدث العذاب، ولا يمكن على وفق هذا التَّصوُّر أن تُقرأ الأحداث من النَّاحية الزَّمنيَّة والجهيَّة قراءةً أماميَّة، ورُبَّما كانت العلاقة التَّداوليَّة للجهة علاقة احتواء، وذلك على ((أنَّ معنى (حتَّى) يؤذِنُ بأنَّ بَعْثةَ الرَّسول متَّصلة بالعذاب شأن الغاية، وهذا اتِّصال عرفيٌّ بحسب ما تقتضيه البَعْثة من مدةٍ للتَّبليغ، والاستمرار على تكذيبهم الرَّسول، والإمهال للمكذِّبين))[٤١]، فبحسب هذا المعنى يُفترَض

أنَّ السِّمة الاتِّجاهيَّة غير نشيطة، أي: إنَّ سمةً اتِّجاهيَّةً سياقيَّة قويَّةً يمكنُ أن تهيمن وتلغي سمة الرَّابط القويَّة.

ثالثاً: أطروحة الجهة المُعجميَّة: تتأسسُ هذه الأطروحة بموجب طبيعة الطَّبقة الجِهيَّة للملفوظ الثاني؛ لأنَّه عامل رئيس مُحدِّد للتَّقدُّم الزَّمنيِّ أو عدمه، ويتضَّحُ ذلك في الأمثلة الآتية:

١- دخل زيدٌ مكتبَ الرَّئيس فتقدَّم الرئيسُ نحوَه.

٢- دخل زيدٌ مكتبَ الرَّئيس فوقفَ الرَّئيس.

٣- دخل زيدٌ مكتبَ الرَّئيس وكان الرَّئيسُ جالساً خلفَ مكتبِه الضَّخم.

٤- دخل زيدٌ مكتبَ الرَّئيس وكانت السَّاعةُ الحائطيَّةُ تدقُّ دقّاً قويّاً.

فهذه الأمثلة تُبيّنُ أنَّ الزَّمن لا يتقدَّمُ إلَّا إذا احتوى الملفوظ الثَّاني محمولاً يفيدُ الإنجاز كما في الجملة الأولى، أو الإتمام كما في الجملة الثَّانية، فإذا احتوى الملفوظ الثَّاني محمولاً دالّاً على حالة كما في الجملة الثَّالثة، أو نشاط كما في الجملة الرَّابعة، فثمَّة علاقة اشتمال لا علاقة تعاقب[٤٢]، ويُمثِّلُ لهاتين العلاقتَيْن - علاقة التَّعاقب وعلاقة الاشتمال - بالآيات القرآنية الآتية:

١- قال تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ [يُوسُف: ٥٨].

٢- قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ * فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢٠- ١٢١]

٣- قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القَصص: ١٥].

٤- قال تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ [ص: ٢٢].

فشبكة الأحداث في الآية الأولى تتمثَّل بالأفعال (جَاءَ، ودَخَلُوا، وعَرَفَهُم)، ولرصد العلاقة الجهيَّة بين الأحداث - بحسب أطروحة الجهة المعجميَّة - نحوِّل اهتمامنا إلى الملفوظ الثَّاني وما بعده، أي: (دَخَل وعَرَف)، وبما أنَّ الأول يُصنَّف في ضمن أفعال الأنشطة؛ لأنَّه يصف وضعاً ممتدّاً وغير محدود، والآخر في ضمن أفعال الحالات؛ لأنَّهُ يصف وضعاً ساكناً، فإنَّ العلاقة الجهيَّة بين الأحداث هي علاقة اشتمال لا علاقة تعاقب، وينتظم الحدث الأول الذي يُمثِّلُه الفعل (جاءَ) إلى الأمام سياقيّاً لا مُعجميّاً؛ لأنَّه فعلُ نشاطٍ لا يشير إلى مسارٍ محدَّدٍ، وقد احتوى معه حدثَيْن آخرَيْن هما: الدُّخول والمعرفة؛ إذ الزَّمن فيهما لا يتقدَّم إلى الأمام؛ لأنَّهما فعلا نشاطٍ وحالة، وقد ذكر (د. أحمد بريسول) أنَّ أفعال كيفيَّة الحركة - يقصد أفعال الأنشطة - تكتفي بالإشارة إلى وجود حركة من دون أن تُشخِّصَ على المستوى المعجمي أيَّ نمطٍ للمسار، يكونُ مُضَمَّناً في هذه الحركة، وأمَّا المسار في طبقة الحالات فمنعدمٌ[٤٣].

وفي الآية الثَّانية تُعَدُّ العلاقة بين الفعلين (وَسْوسَ) و(قالَ) علاقة اشتمال؛ لأنَّ الأول فعل حالة والآخر فعل نشاطٍ، ويُصنَّفُ الفعل (أَكَلا) في ضمن طبقة الإنجازات؛ لأنَّ له نقطة بداية ونقطة نهاية، وهو يشير إلى علاقة تعاقب مع حدث القول السَّابق له، أمَّا الفعل (بدا) بعده فيشير إلى حالة، ومن ثَمَّ فإنَّ مسار الحدث فيه منعدمٌ، لتكون العلاقة بينه وبين فعل الإنجاز (أكلا) علاقة اشتمال لا تعاقب، وتتحقَّق هذه العلاقة أيضاً في الفعلَيْن (عصى) (وغوى)؛ لأنَّهما يدلَّان على حالة.

وأمَّا الآية الثَّالثة، فإنَّ العلاقة الجهيَّة بين حدثي الدخول والوجدان علاقة تعاقب؛ وذلك لأنَّ الفعل (وَجَدَ) يُصنَّفُ في ضمن أفعال الإتمام، التي تتَّصف بنيتُها بقصر المدة الزَّمنيَّة التي تحيل عليها، فتُمثِّلُ حينئذٍ فاصلاً زمنيّاً يغلقُ الحدث السَّابق، ويُبتدئ معها بحدثٍ جديدٍ، وقد أشار (د. بريسول) إلى أنَّ أفعال الحركة المُوجَّهة - يقصد أفعال الإتمامات - تُعبِّرُ عن حركةٍ ذات وجهةٍ مُحدَّدة أو اتِّجاه[٤٤]، وأمّا الأحداث التي تُعبِّرُ عنها الأفعال (اسْتَغَاثَهُ، ووَكَزَهُ، وقَضَى) فعلاقتها الجهيَّة بفعل الإتمام (وَجَدَ) علاقة اشتمال؛ لأنَّها أفعال دالَّةٌ على نشاط، ولا تُعبِّرُ - معجميّاً - عن مسار ذي وجهة محدَّدة، فهي إذاً مُحتواة داخل فعل الإتمام.

وتسير الأحداث في الآية الرَّابعة بشكل عكسي؛ لوجود الرَّابط (إذْ) الذي يحمل سمةً اتِّجاهيَّةً تراجعيَّة - كما أسلفنا - وهذا المسار المُتعاكس يضمُّ علاقة اشتمال بين الفعلَيْن (دَخَلُوا) و(فَزِع)؛ لأنَّ الملفوظ الثَّاني فعل دالٌّ على حالة؛ إذ وصف وضعاً ساكناً، وتتحقَّق علاقة الاشتمال أيضاً مع فعل القول الذي يُعدُّ فعل نشاط، ولا يكشفُ من النَّاحية المعجميَّة عن مسارٍ مُحدَّد.

الخاتمة:

توصَّل البحث إلى مجموعة من النَّتائج، وهي على

النَّحو الآتي:

١- تشير الأطروحة التَّداوليَّة العائديَّة في وصف مسار الأحداث إلى أنَّ جهات أزمنة الماضي، والحاضر، والمستقبل، لا تحملُ أيَّ مؤشراتٍ؛ للدَّلالة على تقدُّم الحدث، أو تأخُّره، إلَّا جهة الماضي المكتمل، فإنَّها تحمل سمة ذات مسار تراجعي، شرط أن تكون متأخرةً خَطِّيَّاً عن الحدث الأول، وإذا افترضنا تقدُّم الأحداث إلى الأمام في جميع الجهات فذلك مبنيٌّ أساس العلاقات السَّببية، أو المعلومات السّياقيَّة الواردة في النَّصِّ أو الخطاب القرآني، وقد تنعدمُ القراءة التَّقدُّميَّة للأحداث فتكونُ متأرجحةً بين التَّقدُّم للأمام والعودة للخلف، بناءً على تلك العلاقات، أو المعلومات أنفسها.

٢- تُعبِّر جهة الماضي المستمرّ عن علاقة إدماج بين الحدثين السَّابق واللَّاحق، كحالة طبيعيَّة لغياب المؤشرات الدَّالة على وصف مسار الأحداث في جهات الماضي – باستثناء جهة الماضي المكتمل - إلَّا أنَّه وردت آيات قرآنيَّة تدلُّ على تقدُّم الأحداث في الماضي المستمرّ إلى الأمام، وهذا الاستعمال يُلجأ إليه؛ لأنَّه يجعل المنظور الزَّمني للفعل منقولاً من وجهة النَّظر الذَّاتيَّة لفاعل الجملة.

٣- تُقدِّم الأطروحة الاستدلاليَّة التَّداوليَّة مكوناتٍ، أو سماتٍ، فاعلةً في المسار الاتِّجاهيِّ الزَّمنيِّ والجهيِّ، في النَّص، أو الخطاب، ونتج عن تطبيقها على النَّص القرآني ما يأتي:

أ- يحمل الرَّابط (إذْ) مساراً اسْتنتاجيّاً دالاً على التَّراجع، ويستلزمُ للأحداث التي تليه علاقتَيْنِ زمنيَّتَيْن هما: التَّأطيرُ أو الاحتواءُ، والسَّردُ التَّقدُّمي، ويُجسّد مقولات: إنَّ السّمات الاتّجاهيَّة للرَّوابط قويَّة، وإنَّ السّمةَ القويَّةَ ذاتَ المسار المعاكس تغلبُ السّمةَ الاتّجاهيَّةَ الضَّعيفةَ إذا ما تعارضتا في النَّصِّ أو الخِطاب؛ وإنَّ سمةً اتّجاهيَّةً ضعيفةً قد تُلغى عن طريق سمة اتّجاهيَّةٍ قويَّةٍ؛ لأنَّ(إذْ) لقوّته يغلب سمة الزَّمن الصرفيّ الاتِّجاهيَّة بوصفها سِمةً ضعيفةً، ويلغي مسارها التقدُّميَّ.

ب- تَشْبَهُ (لمَّا) الرَّابطَ (إذْ) في وظيفته الاتِّجاهيَّة العكسيَّة، إلَّا أنَّها تختلفُ عنه في الأحداث التي تليها، لأنَّها – أي الأحداث بعد (لمَّا) - مرتَّبة ترتيبا تسلسليّاً باتِّجاه الأمام، وتُجسِّد المقولاتِ الجهيَّةَ المذكورةَ في (إذْ) في النقطة (أ) السَّابقة.

ج- يُحافظ الرَّابط (ثمَّ) على سير الأحداث باتِّجاه الأمام، لأنَّه يحملُ سمةً اتِّجاهيَّة قويَّةً ذات مسار تقدُّمي، ويُجسِّد مقولة: إنَّ سمةً اتِّجاهيَّةً قويَّةً يُمكنُ أن تُؤكِّدَ سمةً قويَّةً أخرى.

د- تحملُ (الواو) سمةً اتِّجاهيَّة تدلُّ على تقدُّم الأحداث إلى الأمام، إلَّا أنَّه ليس معلوماً أنَّها سمةٌ قوية أم ضعيفة؛ لأنَّه لا دليل – في العطف – على تقدُّم الحدث الأول على الثَّاني، والذي يظهرُ أنَّ المعلومات السّياقيَّة الواردة في النَّصِّ، أو الخطاب هي المهيمنة على جعل (الواو) سمةً قويَّة أو ضعيفةً، بناءً على الأجواء المحيطة في ظروف التَّخاطب.

هـ - يحمل الرَّابط (حتَّى) سمةً اتِّجاهيَّة أماميَّة، في ترتيب الأحداث، إلَّا أنَّ الدّراسة تشترط أن يكون الفعلُ بعدها دالًّا على جهة التَّمام، فإذا كان دالًّا على اللَّاتمام كانت السّمةُ الاتّجاهيَّة للرَّابط مُحايِدةً، ومن ثَمَّ فإنَّ هذه السِّمة قويَّةٌ إذا كانت الأحداث السابقة لـ (حتَّى) منتظمة في مسارٍ تقدُّمي، فإذا كانت دالَّةً على مسار تراجعي، فإنَّ العلاقةَ بين الحدث اللاحق لـ (حتى) ومتواليةِ الأحداث السَّابقة لها تكونُ إمَّا علاقة احتواء، وإمَّا علاقة دالَّة على مسارٍ تراجعي.

٤- تُرتَّبُ الأحداث بحسب أطروحة الجهة المعجمية بناءً على الطَّبقة الجِهيَّة للملفوظ الثاني؛ فيتقدَّم الحدث إلى الأمام إذا احتوى محمولاً دالّاً على الإنجاز، أو الإتمام، فإذا كان دالّاً على حالة، أو نشاط، فثمَّة علاقة اشتمال بين الحدثَيْن الأول والثاني، لا علاقةَ تعاقب.

الهوامش:

١- يُنظر: تداوليَّة الخطاب: ١٥٦، ١٥٧، والقاموس الموسوعيُّ للتَّداوليَّة: ٤٨١، ٤٨٢.

٢- يُنظر: تداوليَّة الخطاب: ١٥٩.

٣- يُنظر: Tense in Texts: ٢٥٠

٤- يُنظر: الزَّمن في اللُّغة العربيَّة: ١٨٠، ٤٥٦، ٤٥٧.

٥- يُنظر: الزَّمن في اللغة العربيَّة: ٤٥٨.

٦- يُنظر: Tense in Texts: ٢٦١.

٧- يُنظر: تداوليَّة الخطاب: ١٦٣.

٨- يُنظر: مفاتيح الغيب: ٣: ٥٩٥، ٥٩٦.

٩- يُنظر: الزَّمن في اللُّغة العربيَّة: ٤٦٤.

١٠- يُنظر: القاموس الموسوعيُّ للتَّداوليَّة: ٤٨٣.

١١- يُنظر: مجمع البيان: ٨: ٣٢٧، ٣٢٨.

١٢- يُنظر: الزَّمن في اللُّغة العربيَّة: ٤٦٤.

١٣- يُنظر: Tense in Texts:٢٥٣، وتداوليَّة الخطاب: ١٦٠، والزَّمن في اللُّغة العربيَّة: ٤٦١.

١٤- يُنظر: الزَّمن في اللُّغة العربيَّة: ٤٦٤.

١٥- المُحرِّر الوجيز: ٣: ١٩٤.

١٦- يُنظر: الزَّمن في اللُّغة العربيَّة: ٤٦١.

١٧- يُنظر: الزَّمن في اللُّغة العربيَّة: ٤٦٢.

١٨- يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٩: ٤٢٧، ٤٢٨، والجامع لأحكام القرآن: ٦: ٢٧، ومعالم التَّنزيل في تفسير القرآن: ٢: ٣١٥.

١٩- الزَّمن في اللُّغة العربيَّة: ٤٦١.

٢٠- يُفَهَمُ توالي الأحداث في آية سورة يوسف من كلام المفسرين، يُنظر: النُّكَتْ والعيون: ٣: ٨، وزاد المسير: ٢: ٤١٤، والجامع لأحكام القرآن: ٩: ١٢٩، وتفسير القرآن العظيم: ٤: ٣٧١،

٢١- يُنظر: تداوليَّة الخطاب: ١٦٣، ١٦٤.

٢٢- يُنظر: الزَّمن في اللُّغة العربيَّة: ٤٦٦.

٢٣- القاموس الموسوعيُّ للتَّداوليَّة: ٤٩١.

٢٤- يُنظر: المصدر نفسُه: ٥٠٠ – ٥٠٢.

٢٥- الزَّمن في اللُّغة العربيَّة: ٤٦٦.

٢٦- يُنظر: الزَّمن في اللُّغة العربيَّة: ٤٦٦.

٢٧- يُنظر: الزَّمن في اللُّغة العربيَّة: ٤٧٠، ٤٧١.

٢٨- يُنظر: السِّياق ودلالته في القَصَص القرآنيِّ: ٢٥١.

٢٩- يُنظر: الزَّمن في اللُّغة العربيَّة: ٤٦٨.

٣٠- يُنظر: حروف المعاني: ١٦، ومعاني الحروف: ١٠٥.

٣١- التَّحرير والتَّنوير: ٦: ٢٧٨.

٣٢- المصدر نفسُه: ١١: ١١٤.

٣٣- يُنظر: حروف المعاني: ٣٦، ومعاني الحروف: ٥٩.

٣٤- يُنظر: الزَّمن في اللُّغة العربيَّة: ٤٦٩.

٣٥- يُنظر: نظم الدُّرر: ٧: ٩٨، و٨: ٤٩٣، والتَّحرير والتَّنوير: ٧: ٢٠٢، و١٠: ٢٢٠.

٣٦- يُنظر: الزَّمن في اللُّغة العربيَّة: ٤٧٢.

٣٧- يُنظر: المصدر نفسُه: الصفحةُ نفسُها.

٣٨- الزَّمن في اللُّغة العربيَّة: ٤٧٢.

٣٩- يُنظر: المصدر نفسُه: الصفحة نفسُها.

٤٠- يُنظر: المصدر نفسُه: الصفحة نفسُها

٤١- التَّحرير والتَّنوير: ١٥: ٥٢.

٤٢- يُنظر: القاموس الموسوعيُّ للتَّداوليَّة: ٤٨٩، وتداوليَّة الخطاب: ١٦٣، ودلالة الزَّمن في العربيَّة: ٤١.

٤٣- يُنظر: دلالة أفعال الحركة في إطار المعجم المولَّد: ١٠٣، ١٠٥.

٤٤- يُنظر: المصدر نفسُه: ١٠٣.

المصادر والمراجع المطبوعة باللُّغة العربيَّة:

١- التَّحرير والتَّنوير: الطَّاهر بن عاشور (ت١٩٧٣م)، (د. ط)، الدَّار التُّونسيَّة، تونس، ١٩٨٤م.

٢- تداوليَّة الخطاب من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب: آن روبول، وجاك موشلار، ترجمة: لحسن بوتكلاي، الطَّبعة الأولى، دار كنوز المعرفة، عَمَّان، ٢٠٢٠م.

٣- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمَّد سلامة، الطَّبعة الثَّانية، دار طيبة للنَّشر والتَّوزيع، الرِّياض، ١٩٩٩م.

٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمَّد بن جرير الطَّبريّ (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمَّد شاكر (ت١٩٥٨م)، ومحمود محمَّد شاكر (ت١٩٩٧م)، الطَّبعة الأولى، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، ٢٠٠٠م.

٥- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمَّد بن أحمد القرطبيّ (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم اطفيش، الطَّبعة الثَّانية، دار الكتب المصريَّة، القاهرة، ١٩٦٤م.

٦- حروف المعاني: أبو القاسم عبد الرَّحمن بن إسحاق الزَّجاج (ت٣٤٠هـ)، تحقيق: د. علي توفيق الحمد، الطَّبعة الأولى، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، ودار الأمل، الأردن، ١٩٨٤م.

٧- دلالة أفعال الحركة في إطار المعجم المولَّد: د. أحمد بريسول، الطَّبعة الأولى، دار الكتاب الجديد المتَّحدة، ليبيا، ٢٠١٣م.

٨- زاد المسير في علم التَّفسير: أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي المعروف بابن الجوزيّ (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرَّزَّاق المهدي، الطَّبعة الأولى، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٤٢٢هـ

٩- الزَّمن في اللُّغة العربيَّة: بنياته التَّركيبيَّة والدَّلاليَّة: د. امحمَّد الملَّاخ، الطَّبعة الأولى، الدَّار العربيَّة للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٩م.

١٠- السِّياق ودلالته في القَصَص القرآنيِّ: "قصَّة موسى عليه السَّلام أنموذجاً": د. عليَّة بيبيَّة، (د. ط)، دار العرَّاب، ودار نور حوران، سورية، ٢٠١٧م.

١١- القاموس الموسوعيُّ للتَّداوليَّة: جاك موشلر وآن ريبول، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدِّين المجدوب، الطَّبعة الثَّانية، دار سيناترا، تونس، ٢٠١٠م.

١٢- مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطَّبرسيّ (ت٥٤٨هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء والمُحقِّقين، الطَّبعة الأولى، مؤسَّسة الأعلميِّ للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٥.

١٣- المُحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمَّد عبد الحقِّ بن غالب المعروف بابن عطيَّة الأندلسيِّ (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السَّلام عبد الشَّافي، الطَّبعة الأولى، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٢٢هـ

١٤- معالم التَّنزيل في تفسير القرآن: أبو محمَّد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ)، تحقيق: محمَّد عبد الله النَّمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، الطَّبعة الرَّابعة، دار طيبة للنشر والتَّوزيع، الرِّياض، ١٩٩٧م.

١٥- معاني الحروف: أبو الحسن علي بن عيسى الرُّمانيّ (ت٣٨٤هـ)، تحقيق: د. عبد الفتَّاح إسماعيل شلبي، الطَّبعة الثَّالثة، دار الشُّروق، السَّعودية، ١٩٨٤م.

١٦- مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمَّد بن عمر الرَّازي (ت٦٠٦هـ)، الطَّبعة الثَّالثة، دار إحياء التُّراث العربيِّ، بيروت، ١٩٩٩م.

١٧- نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور: أبو الحسن إبراهيم بن عمر البِقاعيّ (ت٨٨٥هـ)، (د. ط)، دار الكتاب الإسلاميَّة، القاهرة، (د. ت).

١٨- النُّكَتْ والعيون: أبو الحسن عليُّ بن محمَّد الشَّهير بالماورديّ (ت٤٥٠هـ)، المحقِّق: السَّيد ابن عبد المقصود بن عبد الرَّحيم، (د. ط)، دار الكتب العلميَّة، ومؤسَّسة الكتب الثَّقافيَّة، بيروت، (د. ت).

المصادر المطبوعة باللُّغة الإنجليزيَّة:

1. Tense in Texts, in meaning, use and interpretatation of language: Hans Kamp, London and Christian Rohrer, Stuttgart, Berlin: de Gruyter, ١٩٨٢.